

Sari Hanafi, Leila Hilal and Lex Takkenberg (eds.)

*UNRWA and Palestinian Refugees:  
From Relief and Works to Human Development*

(New York: Routledge, 2014). 318 p. (Routledge Studies on the Arab-Israeli Conflict)

**الأثروا واللاجئون الفلسطينيين:  
من الغوث والتشغيل إلى التنمية البشرية**

ناصر ياسين (\*)

أستاذ في كلية علوم الصحة ومدير أبحاث في معهد عصام فارس  
للسياسات العمومية والشؤون الدولية، الجامعة الأميركية في بيروت.

وأكثرها عدداً في العالم وعلى اعتبار أن «و غ ل ت» واحدة من أقدم وكالات الأمم المتحدة وهي التي تأسست سنة ١٩٤٩ بغاية النهوض بأعباء احتياجات اللاجئين الفلسطينيين الإنسانية فالتنموية، وهي تقدّم راهناً خدماتها لما يقارب الخمسة ملايين لاجئ فلسطيني مسجّل. وعلى ذلك فإن الكتاب الذي نراجعه والمعنون الأثروا واللاجئون الفلسطينيين: من الغوث والتشغيل إلى التنمية البشرية» يلبي حاجة ماسّة.

الكم الحاصل من المعرفة حول مأزق الأوضاع اللاجئين الفلسطينيين ثريّ إلى حدّ ما<sup>(١)</sup>، ولكن البحث في العلاقة بينهم وبين الأونروا (وكالة غوث اللاجئين وتشغيلهم، نشير إليها في باقي النص بالاختصارات «و غ ل ت») يبدو قليل التناول إذا ما استثنينا مقالات نادرة ظهرت بأقلام أكاديميين مثل الحسيني<sup>(٢)</sup> وبوكو<sup>(٣)</sup> وتاكنبيرغ<sup>(٤)</sup>. يبدو الأمر صادماً على نحو خاصّ على اعتبار اللاجئين الفلسطينيين من أقدم مجموعات المهاجرين

nasser.yassin@aub.edu.lb.

(\*) البريد الإلكتروني:

The Lancet Series of Health in the Occupied Palestinian Territories, 2009, 2010, 2012, 2013, (١) <<http://www.thelancet.com/series/health-in-the-occupied-palestinian-territory>>.

Jalal Al-Husseini, «UNRWA and the Refugees: A Difficult But Lasting Marriage», *Journal of Palestine Studies*, vol. 40, no. 1 (2010), pp. 6-26. (٢)

Riccardo Bocco, «UNRWA and the Palestinian Refugees: A History within History», *Refugee Survey Quarterly*, vol. 28, nos. 2-3 (2009), pp. 229-252. (٣)

Lex Takkenberg, «UNRWA and the Palestinian Refugees after Sixty Years: Some Reflections», *Refugee Survey Quarterly*, vol. 28, nos. 2-3 (2009), pp. 253-259. (٤)

بالغ الأهمية صار مركزياً في فهم التحديات الراهنة التي تلاقيها قابلية الحياة في الثماني وخمسين من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الرسمية. يتناول القسم الرابع موضوع المشاركة المدنية والتزام الجماعة ويؤكد أهمية انخراط اللاجئين في استراتيجيات «و غ ل ت» بوصفها طريقاً نحو تعزيز الثقة بين المنظمة واللاجئين أنفسهم.

**يناقش القسم الخامس** من الكتاب تطوير المخيم ومبادرات إعادة البناء وكذا مشاريع تنمية الجماعة حيث يناصر الكتاب سيرورة تخطيط حضري أكثر تناسقاً مما كان بحيث تستجيب إلى الظروف والحاجات المخصوصة للاجئين الفلسطينيين.

**ويقترح القسم الأخير** من الكتاب البعض من الحلول المستدامة ودوراً محتملاً لـ «و غ ل ت» في توفير الاستشارة والدعم لفائدة اللاجئين الفلسطينيين إجابة على البيئة السياسية العامة التي تحيط بهم. وفي الفصل الذي كتبته ليلي هلال ضمن هذا القسم الأخير والذي عنوانه «أَتَجَرَّى الأَعْمَالُ كما اعتيدَ؟ دَوْر الأَنْروا في حلّ قضيّة اللاجئين الفلسطينيين» تستشرف ما تُدعى «و غ ل ت» للاضطلاع به من دور في التدخل باسم اللاجئين الفلسطينيين في حالة ما إذا تمّ التوصل إلى تسوية سياسية.

وفيما أُوكّد الحاجة إلى الكتاب وضرورته للأكاديميين وللممارسين المهتمين بقضايا اللاجئين الفلسطينيين سواء بسواء، فإنني أودّ أن أثير مسألتين لم يتم التطرق إليهما باستفاضة في الكتاب.

**المسألة الأولى** هي المظهر الغائب أو المتغاضى عنه في الكتاب والذي يتعلق بحياة

أساس الكتاب مؤتمر استضافه «معهد عصام فارس للسياسات العمومية والشؤون الدولية» بالجامعة الأميركية في بيروت سنة ٢٠١٠، وهو تحرير وتأليف مشترك بين أكاديميين متمرّسين وآخرين طموحين. ومن الأكيد، الكتاب مناسب التوقيت تماماً وقد ظهر في سياق متقلقل بالنسبة إلى الفلسطينيين سواء أكانوا في غزة أو سوريا أو لبنان، كما أن «و غ ل ت» تلاقي خلال هذه الفترة تحديات بالغة سواء أكانت ذات علاقة بالتنظيم أو التمويل أم بوصفها ناتجة عن عملها خلال ما تمر به المنطقة الآن من أوقات ملتبسة.

ينقسم الكتاب إلى ستة أقسام رئيسة حيث يناقش **القسم الأول** الدور الخدماتي الذي تضطلع به «و غ ل ت» والتحديات التي تواجهه في ضوء شخّ التمويل والتحويلات التي مست تصرف الوكالة ذاتها.

الحماية هي ما يعالجه **القسم الثاني** من الكتاب حيث يناقش مارك برايسفورد (Mark Brailsford) الكيفية التي يتم بها حالياً استدماج المفهوم في عمليات «و غ ل ت» وتخطيطاتها.

ويلقي **القسم الثالث** نظرة إلى داخل الخيمات وعلى حوكمتها وقد يكون واحداً من أهم أقسام الكتاب إذ يتعمق في الكيفية التي بها تدار المخيمات وتراقب. الفصل الذي كتبه كيرستي بيرغ (Kjersti Berg) يصف بطريقة متفهمة تاريخ تشييد المخيمات ويضعه في سياق البيئة الإدارية والتنظيمية التي تحتضن أروقة «و غ ل ت» وكذا المناخ السياسي الذي أعقب سنة ١٩٤٨ وبالأحرى سنة ١٩٦٧. ذلك بالتأكيد تحليل تاريخي

للمرء إلا أن يلاحظ نزع الصبغة السياسية عن عدد من القضايا الخلافية. في العديد من المستويات لاحظت أن الكتاب يبالغ بالتركيز على الطرق التي بها تدير «و غ ل ت» أعمالها. يوفّر ذلك ولا شك تغطية لمظهر مهم ويوجب تهنئة «و غ ل ت» على انفتاحها على الأكاديميين وهي حالة لم نعتدها في تاريخ الوكالة. ولكنني لاحظت سواء بسواء وفي العديد من المستويات ذلك المديح المبالغ فيه الذي كِيلَ لـ «و غ ل ت». قدّمت البرامج على أنّها «ذات مردود فائق» في الإشارة إلى التدخلات الصحيّة التي أثمرت «نتائج باهرة»، وقدّمت على أنّها «فائقة النجاح» في الإشارة إلى «التمويل المحدود»، وتم التّويُّه «بالتجديد الذي تمّ في اتجاه القيام بمجهود أكثر ديمومة ونسقية في تطوير البنى التحتية المادية داخل المخيمات»، و«جماعية اتخاذ القرار والمسؤولية المشتركة مع اللاجئين» في الإشارة إلى مقاربات «و غ ل ت» التشاركية إلخ... والحقيقة أن ليس بمستطاع أيّ ملاحظ سوى النظر بإيجابية إلى الأشياء الحسنة التي تقوم بها «و غ ل ت» ولكن الصورة، بالنسبة إلى من التزم مع اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات وفي مناطق جوارهم غير الرسمية، تبدو مختلفة. أظنّ أنّ التّقدّ البناء المُركّز على المسؤولية المتقاسمة، مثلما أظهر الكتاب ذلك، يخدمُ الوكالةَ خدمةً أفضلَ □

اللاجئين الفلسطينيين الذي يقطنون خارج المخيمات. لم يمس الكتاب، بسبب التركيز ربما، بالطرق التي بها يدير الفلسطينيون جماعاتهم المحلية، ويُنْفذون إلى الخدمات ويحفظون مناطق الجوار التي بها يحيون. أعتقد وأحاجج بأن «و غ ل ت» مسؤولة أيضاً عن دعم هؤلاء الفلسطينيين في العديد من المظاهر التي تتعدى توفير التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية. في لبنان وحده يوجد ما يناهز ١١٠ آلاف لاجئ فلسطيني ممّن يَحْيُونَ في مناطق غير رسمية لا تشملها «رسمياً» خدمات «و غ ل ت» أضف إليهم ٣٠ ألف فلسطيني وسوري لجأوا مؤخراً جراء النزاع في سوريا. يُتْرَك هؤلاء اللاجئون الفلسطينيون على الغالب لأمرهم في «إدارة» جماعاتهم و«حكمتها» من خلال جملة من آليات المساعدة الذاتية وكذا من خلال طرقهم الخاصة في التعامل مع البلديات والسياسيين والمنظمات غير الحكومية المحلية. هذه قضية حرجة ولا شك تمس بالعلاقة بين «و غ ل ت» وبلدان الاستقبال والجماعات واللاجئين ذواتهم بالطبع، وكان يمكن أن تستحق عناية أكبر في الكتاب.

**المسألة الثانية** أكثر جوهرية. لا يمكن لأيّ عمل أكاديمي حول «و غ ل ت» أن يفصلها عن السياسات المتبعة في ما يهتم الكتاب بالبحث فيه وهو يمس هاهنا بفلسطين وباللاجئين الفلسطينيين. ليس